المبحث الثاني

نتائج إشكاليّة المصطلح

يتطلب الفهم السليم ذكر النتائج بعد الأسباب، فالنتائج هي بنت الأسباب، فعلاج كل معضلةٍ وحلّ كل إشكالية يتم من خلال بيان تشخيص الأحداث (النتائج) ثم إظهار الأسباب التي عن طريقها يتم العلاج من خلال توفير مظاهر معاكسة تذوب من خلالها هذه الأسباب. وبطبيعة الحال فإنّ إشكالية المصطلح كما أن له أسبابه، فلها نتائج دلالية وفكرية وحضارية نتوسع في الكلام عنها في هذا المبحث.

المطلب الأوّل: النتائج الدلالية لإشكالية المصطلح

إنّ الأسباب الدلاليّة لإشكاليّة المصطلح كانتْ واضحة وجلية في النشاط اللغويّ، وقد أشرنا في المبحث الأوّل من هذا الفصل إلى تلك الأسباب باعتبارها ظواهر جليّة في المجتمع المسلم، كلٌّ في مجاله الذي يستشكل فيه دلاليّاً وكذلك فكريّاً وحضاريّاً، ومن طبيعة علاقة الأسباب بالمسبِّبات، ومن ثمّ بالنتائج التي تترتب على وجود هذه الأسباب[1]، نستطيع أنْ نحددَ أهمّ نتائج إشكاليّة المصطلح فيما يلي:

١- نشوء مفاهيم ودلالاتٍ تبتعد كلّ البُعد عن الأصل المعجميّ، وتجاهل العلاقة الدلاليّة التي تربط المستوى الدلاليّ الأوّل في المعجم اللغويّ، والمستويات المتفرِّعة المصطلَح عليها ضمن رؤىً معرفيّة متخصِّصة في مجالٍ معرفيّ معيّن، فينشأ نتيجة ذلك نشوء معجم جديد لا يمتُّ بالمعجم اللغويّ الأصليّ بأيّة علاقةٍ دلاليّة ومفاهيميّة مما يستشكل الأمر فيما إذا كان هذا المعجم هو نفسه المعجم المختص اللغويّ المعروف أم لا، وهنا يأتي دور التلبيس بين مفاهيم هذا المعجم وذاك؛ لكي يظهر الأمر وكأنّه مسألة مبالغ فيها[2].

---

(١) عبد الكريم زيدان: **السنن الإلهيّة في الأمم والجماعات والأفراد في الشريعة الإسلامية**. ٢١.

(٢) منير شفيق: **الإسلام في معركة الحضارة**. ١١٧.

وأحمد محمد الدغشي: **إشكاليّة المصطلحات من المنظور الحضاريّ**. مجلة البيان، العدد ١٦٦، ١٢٦.

٢- إنّ إهمال مسألة عرفيّة الدلالات ومن ثمّ تموضعها في مصطلحاتٍ خاصّةٍ بعلومٍ وتجاربَ ومهنٍ وحِرَفٍ، نتج عنه انحلال سِمة التوافق والاصطلاح في المجتمع، وعَجْز هذا المجتمع على المواضعة، ومن ثمّ سلبه القدرة على المواضعة والاصطلاح، كمن يعجز عن الزراعة، ويفقد أرضه، فيعتمد على غيره في مأكله ومشربه. ففَقَد الإنسان المسلم الحديث القدرة على تسمية الأشياء، وبالنتيجة فإنّ من لا يسمِّي الأشياء يفقد السيطرة على الواقع والمقدرة على التعامل معه بكفاءة[١].

٣- ومن نتائج إشكاليّة المصطلح، انتفاء النفع والاستفادة من عمليّة الترجمة حين تتمّ دون رَوِيّةٍ وتدقيقٍ وتمحيصٍ، وخاصّة أنّ مشكلات الترجمة كثيرةٌ ومتشعِّبة، فتتحول الترجمة إلى مشكلةٍ ومعضلةٍ عويصة حين لا يؤدّي دوره الدلاليّ والمفاهيميّ بصورة علميّةٍ وعمليةٍ مجرّدة من تلك المشكلات التي تحدّثنا عنها في المطلب السابق[٢]. مما أدّى بالتالي إلى ضمور الدلالة العربيّة الإسلاميّة، وسيادة الدلالة الغربيّة بسيادة مصطلحه.

٤- فقدان الأصل الدلاليّ للمصطلح الوافد نتيجةَ عدم الإلمام بسيرته اللغويّة في أصله اللغويّ الذي جاء منه، فعدم معرفة سيرة المصطلح ينتج عنه عدم الإدراك بالقيمة المفاهيميّة للمصطلح مستشكِلاً علينا أمره حين لا يوافق سمات لغتنا سواء في دلالته أو في اشتقاقه وتصريفه وهكذا. لذا نرى المصطلحات الوافدة تسرح وتمرح على ألسنتِنا دون الاهتمام بمسيرتها ومراحل نموّها وهكذا[٣].

---

(١) عبد الوهاب المسيري: **هاتان تفاحتان حمراوان: دراسة في التحيُّز وعلاقة الدال بالمدلول**/ضمن ندوة (إشكاليّة التحيُّز). الجزء الأوّل، ١٦٧.

(٢) عبد الوهاب المسيري: **هاتان تفاحتان حمراوان: دراسة في التحيُّز وعلاقة الدال بالمدلول**/ضمن ندوة (إشكاليّة التحيُّز). الجزء الأوّل، ١٦٧. وانظر: عبد الله إبراهيم: **الثقافة العربية والمرجعيّات المستعارة/ تداخل الأنساق والمفاهيم ورهانات العولمة**. ١١٦

(٣) نصر محمد عارف: **"الحضارة -الثقافة - المدنية" دراسة لسيرة المصطلح ودلالة المفهوم**. ١٥. وانظر: عبد الله عبدالرزاق إبراهيم: **الترجمة/ المبادئ والتطبيقات**. ٨ وما بعدها.

٥- نتج عن الغموض الذي أحاط بالمصطلحات الوافدة بسبب عدم الإلمام الكامل بالمفهوم الأصليّ جرّاء الترجمة الخاطئة أو الناقصة، نتج عن كل ذلك غموض فكريّ والتباس في المفهوم، وبالتالي انشغال فكر الأمّة في دوّامة المصطلح والمقصود منه، وبالتالي نتج منه صراعات فكريّة تجاوزتْ حدودها الفكريّة إلى صراعاتٍ اجتماعيّة وسياسيّة معمَّقة. وبالتالي فإنّ النخب فشلتْ في إقامة حوارٍ مناسبٍ بينها، وهذا الفشل ألْحَقَ ضرراً كبيراً بالنخب جميعاً من ناحية، والمجتمع من ناحية ثانية[١]، وكلّ هذا نتيجة الغموض الذي رافق المصطلحات الوافدة إلى المجتمع الإسلامي.

٦- انحراف دلالة المصطلح، نتيجة انحراف المدلول والدالّ باقٍ كما هو، وهذا كلّه بسبب الإسقاطات المصطلحيّة التي تعني فيما تعنيه إسقاط مدلولٍ على دالٍّ لا يمتّ إلى مفهومه بأيّ صلة. وقد تستخدم مفردات ومصطلحات إسلاميّة كدوالّ للمدلول لا صلة له به[٢].

٧- وبسبب التجوّز القائم في استخدام المصطلحات مجازاً، حين يراد من هذا التجوّز استخدام مصطلحات مجازاً باستعارتها من حقل معرفيّ ما، ونقله إلى حقل معرفيّ آخر بينهما فروقٌ واضحة في المنطلقات والوسائل والأهداف، مما ينتج عنه التباس وإشكاليّة في المفهوم وإدراك الذات المصطلحيّة، وإسقاطها على نماذج في بيئتنا أو تاريخنا حين لا يتوافق مع المنطلقات الفكريّة والأهداف الحضارية للأمّة[٣].

٨- الإصابة بالذهول وعدم السيطرة على الذات، عندما يتسارع التغيُّر في واقع الأمّة؛ بسبب التطور السريع في الوسائل والإجراءات التي تكمن في سمات الحضارة الغربيّة القائمة، مما يجعل الدلالات وبالتالي مفاهيم المصطلحات تتشابك في مستوياتٍ متعدِّدة وفي أزمنةٍ متقاربةٍ نتيجة السرعة الفائقة في تخطّي الحاضر إلى المستقبل أو المنشود من المستقبل.

---

(١) عبد الله إبراهيم: **الثقافة العربية والمرجعيات المستعارة**. ٢٢٢.

(٢) الشيخ يوسف القرضاوي: **كيف نتعامل مع السنة النبوية؟**. ١٧٩.

(٣) عبد الوهاب المسيري: **اللغة والمجاز بين التوحيد ووحدة الوجود**. ١٩٦.

٩- اختلاط المفاهيم في المصطلحات الواردة بسبب عدم تجريد المصطلح الوافد من ظلال المترجِم أو المستقبِل أو الشارِح، فالشيوعيّ الذي يترجم أو يصكّ مصطلحات الماركسيّة، لا بدّ أنْ يتأثرَ بما يحمله من أفكارٍ يساريّة تنحاز من أجلها دلالاته إلى ما يهواه دون النظر والتمحيص المجرد في أصل المراد من المفهوم في المصطلح الموضوع في أصل الفكر الماركسيّ. وهنا ينتج استلاب مركّب حين يكون الشيوعيّ العربيّ أكثر شيوعيّةً من الشيوعيّ الروسيّ أو الألمانيّ[١].

١٠ - الإصابة بالفوضى الدلاليّة الاشتقاقيّة، حين يهمل ضوابط الاشتقاق والوضع للمصطلحات، وحين يُتناسى القيمة الصرفيّة للمصطلح الوارد وتبويبه ضمن جذرٍ معيّنٍ يحتمل مفهومه، فإهمال الموجِّه الصرفيّ للكلمة الوافدة تجعله مبنيّاً على أساسٍ غير صحيح، وتتهاوى أركان دلالته حين يُستكشَف عن أصله وجذره الصرفيّ بحيث يتوصل إلى الإشكال الواضح بين أصله اللغويّ والجذر الذي أُختير له خطأً[٢].

١١ - نشوء اصطراع دلاليّ بين مصطلحاتٍ متشابهة أو متجاوِرة دلاليّاً، فكلّ دلالةٍ تحاول فرض نفسها على حساب مصطلحٍ آخر، وخاصّةً الصراع القائم بين المصطلح الأجنبي (الوافد) والمصطلح المحليّ، فيؤدّي إلى غموضٍ والتباس في فصل مفهوميهما على أساس الحقول الدلاليّة التي تنتمي إليها، وبالتالي المنظومة الفكريّة التي تتبناها في كلّ مصطلح[٣]. وبذلك ينتج اندماج المصطلحين في دالٍّ واحد، فيصار إلى ترادفهما دونما وجودِ إطارٍ متكاملٍ بينهما؛ لافتراقهما فكريّاً وحضاريّاً، وهذا ما نراه جليّاً في مصطلحَي (الشورى) و(الديمقراطيّة).

---

(١) سعيد شبار: **المصطلح خيار لغويّ.. وسمة حضارية**. ٩٨. وعبد السلام المسدي: **قاموس اللسانيات**. ٤٧.

(٢) علي القاسمي: **علم المصطلح/ أسسه النظريّة وتطبيقاته العمليّة**. ٣٨٠.

(٣) عبد الوهاب المسيري: **إشكاليّة التحيُّز/دراسة في التحيُّز وعلاقة الدالّ بالمدلول**. ١٦٣.
عبد الوهاب المسيري: **اللغة والمجاز بين التوحيد ووحدة الوحدة الوجود**. ١٩٦.

يقول الدكتور عبد السلام المسدي: «ولعلّ من أول مظاهر هذا التلاعب اللفظي المحاولات المتعددة التي تشاهدها اليوم في الفكر العربي الإسلامي للربط بين مصطلح (الديمقراطية) ومصطلح (الشورى) وهو ربط أقلّ ما يقال فيه إنه وهميّ بدليل أنه من الثابت أنّ مصطلح (الديمقرطية) في الفكر السياسي الغربي يقوم على وجود مؤسسات سياسية وقانونية نيابية هي التي تشكل المتصورات الجينية المرجعية، كما أنه من الثابت أنّ ما يقوم عليه مصطلح الشورى الإسلامي يتكون من متصورات طبيعة استشارية. وشتّان بين الصنفين من المتصورات، فبينما الأولى مقيّدة بصفة قانونية وفعلية لسلطة الحاكم إذ هي تتقاسم معه السلطة التعزيرية وتجعل من الحكم المطلق حالة استثنائية ومرضية نرى الثانية لا تملك من السلطة التعزيرية شيئاً وتجعل من طلاقة الحكم القاعدة فيه»[1].

١٢ - إهمال الرؤيّة الشموليّة للأنظمة المرجعيّة في تحديد دلالة المصطلح، وتبويب مفهومه ضمن حقلٍ دلاليّ يُلتمس فيه المعنى التام، أو التركيز على نظام لغويّ كالنظام الصوتي، وإهمال آخر كالنظام الصرفيّ أو المعجميّ. وهذا ما ينتج عنه النقص في الدلالة العامّة للمصطلح والخبرة المأخوذة عن أصلِ وسيرة ذلك المصطلح وهكذا[2]. مما يؤدّي بالتالي إلى التشويش الفكريّ، ومن ثمّ إلى خطأٍ دارجٍ يستحسنه الناس على أساس المقولة الخاطئة التي تقول: «الخطأ المشهور خيرٌ من الصواب المهجور»[3].

١٣ - عدم السيطرة على مفهوم المصطلح بسبب التقادُم، والتخصيص لدلالات متولِّدة من المصطلح نفسه، وبالتالي تعميم دلالة المصطلح المتولِّد من المصطلح الأمّ على الأصل، وكأنّه هو، أو انصهار دلالة مصطلحٍ ما ضمن حقولٍ متشابكةٍ من المفاهيم ضمن الاختصاص نفسه[4].

---

(١) عبد السلام المسدي وآخرون: **تأسيس القضية الاصطلاحية**. ١٦٧.

(٢) جاسم محمد عبدالعبود: **مصطلحات الدلالة العربية**. ١١٥.

(٣) مازن المبارك: **نحو وعي لغويّ**. ١٩٠.

(٤) رمضان عبدالتواب: **التطوّر اللغويّ/ مظاهره وعِلَله وقوانينه**. ١٨٩. علي القاسمي: **علم المصطلح أسسه النظرية وتطبيقاته العملية**. ٣٦١.

١٤- إسقاط ألفاظ وافدة على معنىً لا تمتّ إليها بصلة، وخاصّةً إذا علمنا التزاوج الذي يجب أنْ يوجدَ بين اللفظ والمعنى، رغم أنّ قضيّة اللفظ والمعنى مسألة حسّاسة قديماً وحديثاً، ويثير هذه الحساسيّة عدم الوئام بين اللفظ الوافد والمعنى الذي يُراد أنْ يدلّ عليه هذا اللفظ، فيؤدّي إلى اختلالٍ وظيفيٍّ للفظ والمعنى معاً.

١٥- تدخل أنساقٍ فكريّة لحضاراتٍ أخرى في توجيه دلالة مصطلحٍ ما ليتوافق مع توجهاتها التوسعيّة وتوظيف المصطلح عن طريق حضارة القوّة وفرضها فرضاً دون الالتزام بالمنهجيّات المتّبعة في تحديد المفاهيم والدلالات للمصطلحات عامّةً، وخاصّة ضمن علم المصطلح الخاصّ لكلّ لغة.

المطلب الثاني: النتائج الفكريّة لإشكاليّة المصطلح

على أساس طبيعة الأسباب والمسبّبات، نستخلص أهمّ النتائج التي تنتج عن الأسباب الفكريّة لإشكاليّة المصطلح السابق ذكره فيما مضى وهي كالتالي:

١- عدم إعمال الفكر، والعمق الفكريّ في تناول المصطلحات وتوظيفها في سياقاتها الخاصّة بها، مما ينتج عنه آفة التسطيح الفكريّ، والتسطيح يعني فيما يعنيه ضمن طرق التفكير ومصادره: «عمليّة معرفيّة تستهدف التعريف بمظاهر الشيء أو السطح الخارجيّ له، ومن هنا نسبناها إلى السطح، فالموضوع الذي يعرض عرضاً سطحيّاً لا يقدّم عرضه بذلك الشكل تصوراً كاملاً لسائر أبعاده، بل يصوِّر سطحه الخارجيّ وحده، وسطح الشيء جزءٌ منه لا كلّه»[١].

ومحاولة التسطيح الفكريّ لها وسائل من أهمّها استخدام المصطلحات التي أنتجتها منظومات فكريّة غريبة عن المصطلح بداعي توافقها مع مبادئ وحيثيّات المجتمع الأخلاقيّة في مجالات الحكم والسياسة والفكر وغيرها، أو بداعي توافقها لحاجات المجتمع الآنيّة[٢].

---

(١) طه جابر العلواني: **إصلاح الفكر الإسلامي/ مدخل إلى نظم الخطاب في الفكر الإسلامي المعاصر**. ١٥٣.

(٢) طه جابر العلواني: **إصلاح الفكر الإسلامي/ مدخل إلى نظم الخطاب في الفكر الإسلامي المعاصر**. ١٥٣. وانظر: الهيثم زعفان: **المصطلحات الوافدة وأثرها على الهوية الإسلامية**. مركز الرسالة للدراسات والبحوث الإنسانية، القاهرة، ط١، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م، ٣٣.

٢- إنّ عدم الإيمان بوجود صراعٍ فكريّ حضاريّ بين الفكر الإسلاميّ وغير الإسلاميّ (وبالتحديد الفكر الغربي)، بداعي عدم الإيمان بنظريّة المؤامرة أو الفكر التآمريّ، نتج عنه غزوٌ مصطلحيّ للفكر الغربيّ بداعي تحييدها عن أي صراعٍ فكريّ، مما استوجب الاختلاط وعدم التمييز، وبالتالي الانصهار في شبكة الدوال (المصطلحات) الغربيّة، على الرغم من الفشل الذريع للفكر الغربيّ ممارسةً وسلوكاً «على الأقل في بلاد المسلمين ناهيك عن بلاد الغرب أنفسهم»[١].

٣- التحيّز لفكرٍ معيّن، ومن ثمّ تبنّي مصطلحاته التي هي مفتاح للتعبير عن رؤيته الفكرية، سواءٌ كان هذا التحيُّز واعياً أو غير واعٍ، وسواءٌ اعتمد على البرهان العقليّ أم تخطّاه وقفز عليه لسابق عهدٍ بالفكر الذي يريد تبنِّيه حتى إذا لم يؤيّده البرهان العقليّ، مما يجعل من التحيُّزات غير ذي فائدةٍ ولا يصبّ في مصلحة الفكر الربانيّ المصدر، وتتشكّل على أسس أُحاديّة النظر والفكر وعدم الشموليّة وبالتالي تنتج منه مصطلحات تفتقر إلى الدقّة والتوافق المنهجي للفكر الربانيّ، مما يفقدها صفة الربّانيّة، قافزةً على البراهين، تتلقّفها الأفكار البشريّة الوضعيّة وتنبذها حين تستغني عنها[٢].

٤- التخبّط في الرؤية النقديّة بين المناهج، واختيار المنهج الأمثل في الرؤية النقديّة الملتزمة بكلّ عناصر التحسين والتقبيح، وهذا نتيجةٌ طبيعية لاستبعاد وعدم اعتماد الرؤية النقديّة الإسلاميّة التي تعتمد على الكتاب والسنة في عمليّة النقد، وبخاصة في مجال المصطلحات التي يجب إيجاد موقفٍ نقديّ واضحٍ إزائها وبخاصّة الوافدة منها؛ لتستقرَّ فيها إجراءات المنهج[٣].

---

(١) أحمد صدقي الدجاني: **التحيُّز في المصطلح**/ ضمن ندوة "إشكاليّة التحيُّز/ رؤية معرفية ودعوة للاجتهاد". الجزء الأوّل، ١٤٨.

(٢) عبد الوهاب المسيري: **اللغة والمجاز بين التوحيد ووحدة الوجود**. ١٩٢ وما بعدها.

(٣) عبد الله إبراهيم: **الثقافة العربية والمرجعيّات المستعارة/ تداخل الأنساق والمفاهيم ورهانات العولمة**. ٩٧.

٥- إنّ النتيجة الطبيعيّة لعدم تحديد إطار معرفيّ ومنهجيّ يعتمد على تصويبات من الوحي، واعتماد الأحاديّة في التفكير وعدم الشمول، فنتيجة كلّ هذا هو استدعاء الآخر ومصطلحاته والاستلحاق به، وغياب الخصوصيّة اللغويّة والثقافيّة وبالتالي الخصوصيّة الثقافية والحضارية للمصطلحات، مما يصيب فكر الأمّة وثقافتها في مقتلٍ جرّاء الغزو المصطلحيّ الخطير على خصوصيّتها، والإشكاليّة الحقيقيّة تكمن في المصطلحات الفكريّة والثقافيّة ومفاهيمها، فغزو هذا المجال يعني حدوث بلبلة وخلط في المفاهيم واهتزاز في الشخصيّة، واضطراب في الثقافة وتبديل في مفاهيم القِيَم الضابطة لمسيرة الأمّة، وبالتالي النتيجة الحتميّة انتفاء المنطلق المعرفيّ والمنهجيّة الواضحة، وضبابيّة في الإدراك[١]، إدراك الذات وإدراك الآخر.

٦- إنّ فقدان السيطرة على اللغة، وعدم اعتماد تفكير لغويّ أصيل ينبع من خصائص اللغة ذاتها، ينتج عنه التعبير بلسان الآخر باستخدام مصطلحاته ومفرداته، وبالتالي التفكّر بعقل الآخر. ولاريبَ أنّ محاولات التجديد اللغويّ قد تتداخل فيها الأهداف في كيفيّة توجيه اللغة والتفكير اللغويّ ليتوافق مع المنطلق الفكريّ السائد أو المتأصِّل عبر القرون والتي عُبِّر عنها بذات اللغة على طول القرون السابقة، فوجد علاقة حميمة بين الدالّ والمدلول، فاستُهْدِفَا بدقّ أسفينٍ بينهما؛ لتخدير اللغة وتعطيله وتهميشه؛ لكي تبدو على حالة مزرية غير نافعة وغير مفيدة. مما من يجعل الوافد أفضل بديلٍ لها حسب تصوّراتهم[٢].

٧- عدم التوفيق في معرفة الآخر، وخطابه الموجّه إلينا على سبيل حصر مصطلحاته وبالتالي مفاهيمه، تلك المفاهيم التي هي إدراك الآخر لبنية مجتمعه النفسيّة والاجتماعيّة

---

(١) سعيد شبار: **المصطلح خيار لغوي.. وسمة حضارية**. ٢٩ وما بعدها. ومحسن عبد الحميد: **المذهبيّة الإسلامية والتغيير الحضاريّ**. ٣٥

(٢) سعيد شبار: **المصطلح خيار لغوي.. وسمة حضارية**. ٢٨. وتمام حسّان: **اللغة بين المعياريّة والوصفيّة**. ١٥.

والتاريخيّة التي تكوِّن البيئة التي يعيش فيها، مما يجعلنا نتعامل مع مجهول، على الأقلّ بالنسبة لنا،مما يجعلنا نتوه في متاهات الاختزال والتعميم التي تطال المفاهيم ضمن قوالب لها، هي المصطلحات التي نحتتْ في بيئة الآخر وفكره وحضارته[1].

وعدم الإحاطة بالآخر لها أسباب، أهمها الاعتقاد بكماله فيما وضعه من أفكار ومصطلحات، باعتباره هو الغالب[2]، فيُقلَّد في كل ما يلفظه ويفعله ويصطلح عليه ولا يسأل عن شيء على كماله.

٨- الوقوع في شِرَاك المصطلحات التي تُرفَع شعاراتٍ للتجديد، وهي لا تمتّ إلى التجديد بصلة، بل هي تغيير في البُنية الفكريّة للمجتمع، فالتجديد يعني فيما يعنيه تحديث الواقع نفسه، بإعمال العناصر الفعَّالة فيه، وليس الانقلاب على المفاهيم السائدة، وهذا ما يقوم به الغربيّ الغازي - أي الانقلاب على المفاهيم السائدة في المجتمع الإسلامي، حين يستخدم مصطلحاته للتعبير عن هذا الانقلاب بداعي التجديد والتنوير الفكريّ، مُهمِلاً الجوانب المتميّزة والإيجابية لمصطلحاتنا الخاصّة بنا[3].

٩- نشوء ضبابيّة وعدم الوضوح في الرؤيّة الفكريّة الإسلاميّة، حين تقاعس المسلمون في مواجهة الفكر الغربيّ الغازي، وكانتْ المهادنة أداةً طيّعة في غمار هذه المواجهة، مما أدّى إلى استفحال أزمةٍ فكريّة طالتْ أوّل ما طالت مصطلحاتنا الإسلاميّة فجَرَتْ حملة استبدال سريعة، فوُضِعت بدلها المصطلحات الغربيّة الوافدة، واستفحال هذه الأزمة جاءتْ نتيجة المنطلقات التي اعتمدها الفكر الإسلاميّ أساساً والمتمثِّل بالقرآن الكريم والسنة النبوية، وليس اعتماداً على قدرات المفكّرين وإلا أصبح الفكر الإسلاميّ

---

(١) عمر عبيد حسنة: **الخطاب الغائب**. ٥٤.

(٢) انظر إلى المطلب الثالث، من المبحث الأوّل من هذا الفصل. فقرة (سبب يتعلق بقوة الحضارة وحضارة القوة).

وانظر: العلامة عبدالرحمن بن محمد بن خلدون: **مقدمة ابن خلدون**. الجزء الثاني، ٥٠٥.

(٣) د. عدنان محمد أمامة: **التجديد في الفكر الإسلامي**. ٣٦٤.

من الأفكار البائدة الماضية كما أصبحت أفكار أفلاطون وأرسطو وهيجل وغيرهم كثير ضمن تأريخ الفكر الإنسانيّ، على الرغم من أنّ المفكّرين المسلمين، حاولوا جاهدين الذبّ عن الإسلام بكلّ عناصره ومصطلحاته لكنّ الكثير هادَن في جوانبَ ضعفاً واستكانةً وليس عن قناعة[1]، نتيجةً للضغط المفرِط للفكر الغربيّ على العالم الإسلاميّ سواء من الجانب العسكريّ أو الاقتصاديّ أو الاجتماعيّ أو الجانب الإعلاميّ الذي كان له الأثر الأبرز في هذه المواجهة. حتى أصبح الفكر الإسلاميّ ينشغل بالوسائل أكثر من الغايات، وبالتاريخ أكثر من الدين، وبالرجال أكثر من المبادئ، وبالأحداث أكثر من القِيَم، وبالتقاليد أكثر من المفاهيم[2].

١٠- الوقوع في دوّامة التبعيّة الثقافيّة والاستلحاق بالآخر، مما ينتج عنه بالتالي استلابٌ حضاري يصهر فيه العقليّة المسلمة في المنظومة الفكرية والحضاريّة الغربيّة؛ لأنّ المعرفة المنهجيّة تُنْتَفى ركائزها، حين يضطرّ المرء إلى التهاون عن ذاتيته ويذوب في مقدّرات الآخر وتوجُّهاته، ويساق إلى المجهول سوقاً، لا هو يستطيع أنْ ينسى أصوله الفكريّة والمنهاجيّة، وإنْ كان قد استُفْرِغ منها، ولا هو يستطيع أنْ يتطلّع إلى الفكر الوافد ويطبِّقها بحذافيرها، فتصاب الأمّة بالإزدواجيّة والنفاق الفكريّ في خضم هذا التصارُع. فيسمِّي الشيء بمصطلحٍ لا يعبِّر عنه تأكيداً للتخبُّط الفكريّ الذي يصيبه[3].

١١- فقدان الأصالة في التفكير ووضع المصطلحات، مما يؤدِّي إلى عدم المقدرة على التفاعُل مع الحاضر وفهمه، أي عدم المقدرة على المعاصَرة، مما يستلزم بالتالي الاندماج

---

(١) فمثلاً في تحديد معنى (الجهاد) حين أسموه حرباً دفاعيّة، أو تحديد معنى (العبادة) حين اقتصر على الجانب التعبّدي منه وهكذا.

(٢) عبد الحميد أبو سليمان: **أزمة العقل المسلم**. ٥١.

(٣) أبو الحسن علي الحسيني الندوي: **الصراع بين الفكرة الإسلاميّة والفكرة الغربية**. دار النـــدوة للتوزيع، لبنان، ط١، ١٣٨٨هـــ/١٩٦٨م. ٢٢٦. وانظر: عبد العظيم محمود الديب: **التبعيّـــة الثقافيّة ووسائلها ومظاهرها**. ٦٧.

في الآخر مما ينتج عنه كذلك الهجين الذي يفتقر إلى الوضوح والثبات والاستقلاليّة، وهذه نتيجةٌ طبيعيّة للاتصال غير المنظَّم بالثقافة الغربيّة الحديثة. ففقدان الأصالة وعدم المقدرة على المعاصَرة، هما نتيجة طبيعيّة أيضاً؛ بسبب الإرادة المسْلوبة مُسبقاً والذي يُحتِّم هذا الهجين الذي أشرنا إليه[1].

١٢ - محاصرة المفاهيم الإسلامية التي هي مضامينٌ في قوالب المصطلحات الإسلامية، ومزاحمتها بالمفاهيم والمصطلحات الوافدة من ناحية، وبالتأثيرات الحضارة المحلية القديمة مما يؤدِّي إلى تضليلٍ فكريّ من ناحية أخرى، وغزو فكريٍّ وافد من ناحية أخرى، ويبدو أنّ المحصِّلة لهذا وذاك، اعتماد منهجٍ تغريبيّ تحاكم الفكر الإسلامي والمجتمع الإسلامي من خلاله، وتصويرهما كمتّهمين ومسؤولين عن كلّ مشاكل العالم[2]. علماً أن تثبيت صفة الإسلامية في بعض المصطلحات يظل حلاً غير منطقي، كالاشتراكية الإسلامية، والديمقرطية الإسلامية، والتجديد الإسلامي والإصلاح الإسلامي، والعقلانية الإسلامية، والواقعية الإسلامية واليسار الإسلامي وغيرها من المصطلحات. «فالمصطلحات المؤسلمة على هذا النمط تظل مصطلحات بلا هوية حقيقية؛ لأنها تفتقد للمضامين والمفاهيم الإسلامية العميقة؛ ولأنها تظل محافظة على خلفيتها ومحمولها الثقافي؛ ولأن نظريتها مقطوعة الصلة بتاريخ وثقافة وحضارة المجتمعات الإسلامية..»[3].

---

(١) عبد الله إبراهيم: **الثقافة العربية والمرجعيّات المستعارة**. ٩٧.

(٢) محمد محمد حسين: **الإسلام والحضارة الغربية**. ١٢٨. وسيف الدين عبد الفتاح: **بناء المفاهيم الإسلامية**. ٦٤.

(٣) محمد عبد الله زرمان: **الخطاب الإسلامي المعاصر وإشكالية المنظومة المصطلحية**. ٧٢.
يركز الكاتب في هذا المجال على أن المصطلحات مثل التجديد والتغيير والإصلاح قد تكون لها مصادر إسلامية، لكننا لم ننتبه إليها إلا بعد ورودها في إطار المنظومة الثقافية والفكرية الغربية، دون الاعتماد على منهج بنائها من الداخل، جاعلة من أسلمة هذه المصطلحات بالانتحال أو التوفيق أو التلفيق أو الإيواء أو التجنيس طريقة في التعامل الإسلامي مع هذه المصطلحات.

١٣ - فقدان الخصوصيّة الإسلامية للخطاب، حين فُقد الوعي المصطلحي، والوعي بأهمّية المصطلح ووضعه، مما أثَّر سلباً في تحديد أولويّات الأمّة في ترتيب القِيَم، ومن ثمّ تفسير هذه القِيَم وتصوّرها؛ لأنّ المعبِّر عن هذه القِيَم هي مصطلحاتها، ففقدان الوعي بهذه المصطلحات يصيب الخطاب الإسلاميّ في مَقْتَلٍ؛ لأنّ المصطلحات هي مفاتيح كلّ خطاب، وخاصّة في تلك الخصوصيّة التي تمثّلها في الحالة الإسلامية[١].

١٤ - تشويه اللغة ومفرداتها وحقولها الدلاليّة، وإقحام ما ليس منها في الدلالة والمفاهيم والضوابط في وضع المصطلحات، والقواعد النحوية، والصرفية الاشتقاقيّة، فهناك من المصطلحات ما تقحم في اللغة إقحاماً، دون مراعاة الجوانب الدلاليّة المفهوميّة، ولا مراعاةً للضوابط الواجب توفّره في الترجمة (على الرغم من صعوبة الترجمة). وهذا أمرٌ طبيعيّ؛ لأنّ الذي يقوم بهذا الإقحام أو الاقتحام، إنما هو الذي يحمل فكراً غربيّاً محاولاً إقحام فكرته في المجتمع الإسلامي، فيمتطي صهوة المصطلح المُقْحَم به، فهو ليس لغويّاً ولا مصطلحيّاً فلا يأبَه بمايلتزم به اللغويّ أو المصطلحيّ، متعدّياً على قواعد اللغة، ومنهج علم المصطلح في وضع المصطلحات، فهي عملية عنفٍ واعتداء وفوضى موجَّهة ضد المنظومة الفكرية والمفاهيمية للأمة[٢].

١٥ - التذبذب والتشرذم وعدم الوضوح في تحديد المصدر التأسيسيّ لبناء المفاهيم، والاستسلام لمنطق الغرب ومفاهيمه، أي استيراد المفاهيم جاهزةً، كأيّ سلعة أخرى ينتجها الغرب، ونحن بدورنا نستهلكها، دون أنْ نشعرَ بأننا لدينا المقوِّمات الكافيّة لكي نكونَ من أوضح وأفصح وأكمل المصادر التأسيسيّة في العالم، حين يمدُّنا القرآن الكريم بمفاهيمه الكاملة الربانيّة، ويرشدنا إلى دلالاتٍ وقواعدَ حَرِيٌّ بِنا أن نفتخر بمنهجيّتها المعرفيّة في التعامل والتمكين[٣].

---

(١) أنور الجندي: **مَعْلَمَة الإسلام**. المجموعة الأولى، ١١ وما بعدها.

(٢) عبد الرحمن عزّي: **فقه اللغة وعنف اللسان والإعلام في المنطقة العربية**. ١٤. وانظر: محمد أكرم سعد الدين: **إعتداء الفكر العربي الحديث على ذاته اللغوية/نحو رؤية معاصرة وفتح باب الاجتهاد**/ ضمن ندوة (إشكاليّة التحيُّز/ رؤية معرفية ودعوة للأجتهاد). الجزء الأول، ٢٢٠.

(٣) سيف الدين عبد الفتاح إسماعيل: **بناء المفاهيم ضرورة منهاجية**/ ضمن (بناء المفاهيم/ دراسة معرفية ونماذج تطبيقية). الجزء الأول، ٩٨.

فإشكاليّة المصطلح الوافد تؤدِّي حتماً إلى تنحيةِ كثيرٍ من المفاهيم الإسلاميّة واختزالها بفعل أقوامٍ من جِلْدتنا رأوا في الإنسان الغربيّ الكمالَ، فتركوا كمال الله سبحانه ليختاروا بديلاً عنه في الكمال والإذعان، مع أنّ الإنسان الغربيّ مهما يكن، فهو بشرٌ مثل سائر البشر[1] .

المطلب الثالث: النتائج الحضاريّة لإشكاليّة المصطلح

إنّ وجود نتائج فكريّة لإشكاليّة المصطلح الوافد إلى المجتمع الإسلامي، سيؤدِّي بالضرورة إلى انعكاسها على المسيرة الحضاريّة للأمّة، فتظهر فيها أعراض هذه الإشكاليّة؛ وإنْ كانتْ على مدىً أبعد من النتائج الفكريّة التي نتلمسها في الحياة اليومية ونحن نعاصر هذا الصراع الفكريّ المرير ضمن مجتمعنا الواحد بين التيار الإسلاميّ، وأقطاب التيار التغريبيّ العلمانيّ. فمن أهم النتائج الحضاريّة لإشكاليّة المصطلح هي:

١- التحيُّز والانحياز للنموذج المعرفيّ للحضارة الغربيّة على حساب النموذج المعرفيّ للحضارة الإسلاميّة، ومن ثمّ التحيُّزات الجزئية داخل التحيُّز الكليّ، فيتمّ التحيُّز للماديّ على حساب الإنسانيّ وغير الماديّ ضمن التحيُّز الكليّ للنموذج الغربيّ على حساب الإسلاميّ. وكذا التحيُّز للمحسوس على حساب غير المحسوس وهذا أيضاً ضمن التحيُّز الكليّ للنموذج الغربيّ على حساب النموذج الإسلاميّ في إطاريهما الحضاريّ، وهكذا تتوالى التحيُّزات، وبما أنّ المصطلحات هي مفاتيح المفاهيم، فهذه المصطلحات تتولّى عملية التحيُّز، من خلال التحيُّز للمصطلح الغربيّ النشأة والوضع على حساب المصطلح الإسلاميّ، فتظهر علائم التحيُّزات في إطار كليّ في مصطلحٍ غربيّ[2].

٢- الوقوع في أسر مصطلحات الحضارات الأخرى، دون إدراك الخصوصيّة الحضاريّة للمصطلح، «فالمصطلحات المستوردة عندما تنتزع من حيزها الزماني والمكاني وفضائها

---

(١) أبو الحسن علي الحسيني الندوي الحسيني: **الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكـــرة الغربيـــة**. ١٣٧ و٢٢٥.

(٢) عبد الوهاب المسيري: **فقه التحيُّز**/ ضمن ندوة (إشكاليّة التحيُّز رؤية معرفيّة ودعوة للاجتهاد). الجزء الأول/ ٥٦.

المعرفي تفقد القدرة على الحركة وتتحول إلى جسم هامد جامد لا تنتشر فيه حرارة الطاقة الإنتاجية والإبداعية التي كان يبثّها عند أصحابه الأصليين؛ لأنه لا يستطيع أن يتنفس تنفساً طبيعياً إلا في أحضان الحضارة التي أنجبته، وهذا هو السرّ الكبير الذي يقف وراء فشل جميع المشاريع التحديثية المستوردة التي تعتمد المناهج الغربية وتسقط تجاربها الخاصة على المجتمعات الإسلامية إسقاطاً مباشراً»[1]، فاستيراد المصطلحات من الغرب من قبل أُناسٍ يرون فيها الحلّ السحريّ لمشكلاتنا، إنما هي إضاعة لحقبٍ من تاريخنا الحاضر دون أنْ ندركَ إلا بعد حينٍ أنّ ما تبنّاه بعضهم لمصطلحات ومفردات ومبادئ غربيّة قد استفذتْ أغراضها في بيئتها التي نشأتْ فيها، ونحن مشغولون في التصارُع حولها، وأفضل نموذجٍ لهذا الموقف هو مصطلح (الإشتركيّة)، فما أكثر ما قيل حوله وما أكثر ما تجاذب فيه المفكِّرون والدارسون والباحثون أطراف الحديث في الصحف والمجلات والمؤتمرات والندوات، وكان المدافعون عنها في موقف قويّ حسب ما كانوا يعتقدون حتى إذا سقطت الاشتراكيّة في موطنه (بتفكك دولته)، سقطتْ من أعين الجماهير فضاعتْ على أمّتِنا حقبة من تاريخها خصّصتها لمحاربة الاشتراكيّة أو الدفاع عنها وكان بالإمكان توجيه الطاقات إلى توحيد الصفوف وإعادة دولة الخلافة المنهارة، لكن يبدو أنّ تأجيج الصراع حول الاشتراكيّة ومصطلحاتها المرفقة كانتْ لتوجيه الأنظار عن المسألة الكبرى، فانشغل الناس بالاشتراكيّة في خمسينيات وستينيات القرن الميلاديّ الماضي، ثم الانفتاح على الغرب الرأسمالي، ولا ندري متى سنبدأ بالانفتاح على الإسلام وعقيدته وحضارته وفكره بعد كلّ هذه التجارب الفاشلة[2].

٣- حدوث حالة اشتباك وتصادُم بين المصطلحات الوافدة والمنطلقات المعرفيّة والخصائص

---

(١) محمد عبد الله زرمان: **الخطاب الإسلامي المعاصر وإشكالية المنظومة المصطلحية**. ١٣.

(٢) الشيخ عبد العزيز البدري: **حكم الإسلام في الاشتركيّة**. المكتبة العلمية، المدينة المنورة، ط٥، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م. ١٣٢ وما بعدها. وانظر: محمد قطب: **واقعنا المعاصر**. دار الشروق، القاهرة، ط١، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م. ٣٣٤.

الذاتيّة للمجتمع الإسلاميّ، وهذا نتيجة طبيعيّة حين يراد إحداث تغييرٍ حضاريّ، ولكن دون الاعتماد على المنطلقات المعرفيّة والخصائص الذاتيّة للمجتمع الإسلاميّ، والذي يتمثّل القرآن الكريم والسنة النبوية أبرز وأوضح معالم هذه المنطلقات والخصائص.

وتنتج عن هذا التصادُم الآنف الذكر أعراض سلبيّة تجعل من المجتمع المسلم مجتمعاً حائراً متقلّباً، لا تثيره إلا الأحداث، أمّا المبادئ فلا يبدي لها الاهتمام المنشود وبالتالي فإنّ التغيير يفقد التخطيط الموجّه ويدخل في إطار الفوضى في الفكر والممارسة فيؤثّر ذلك في كيان المجتمع كلّه، وهذا كلّه نتيجة التلفيق بين مجموعات إصطلاحيّة، تنتمي إلى منظومات حضاريّة مختلفة[1]؛ لذا فإنّ المذهبيّة الإسلاميّة بكلّياتها ومصطلحاتها غدتْ غريبة في مجتمعاتنا الإسلاميّة. فالمسلمون لا يعيشون في إطارها. إذن فلا بدّ لمنهج التغيير الذي يتبنّاه الإسلاميون[2] (بخاصة)، أنْ يلتزم بإطار المصطلحات الإسلاميّة، حتى ترجع الأصالة الفكريّة إلى مجتمعنا فلا نعيش إلى الأبدّ على فُتات موائد المذهبيّات المادّية التي توجه الحضارة الغربيّة المعاصرة[3].

---

(١) محسن عبد الحميد: **المذهبيّة الإسلاميّة والتغيير الحضاري**. ٨٩.

(٢) **الإسلاميون**: يقول الدكتور محمد عمارة عن هذا المصطلح: (هم طلائع الفكر والعمل الإسلامي، المشتغلون بصناعة الفكر، والذين يقودون العمل لوضع هذا الفكر في الممارسة والتطبيق، وبذلك فإنّ لفظ "الإسلاميون" شاع ويشيع استخدامه في الأدبيات الحديثة، عنواناً على طلائع وتنظيمات ومؤسسات وعلماء ومفكري الصحوة الإسلامية، أولئك الذين يجتهدون ويجاهدون لقيادة الأمة كي تنهض فتغيّر الكثير من الأفكار السائدة وتستبدل الكثير من معالم الواقع السائد، وفق مناهج الإسلام - كما يتصورها كل فصيل من فصائل هذه الطلائع والتنظيمات والمؤسسات والعلماء والمفكرين.. وهذا لايعني نفي الإسلام ولا نفي التدين به عن غيرهم ممن هم مسلمون، فالمسلمون هم كل من تدين بدين الإسلام.. يؤمنون به ويتدينون به، لكنهم لم يختاروا لأنفسهم مواقع الطلائع المجاهدة -على مختلف جبهات الجهاد - في سبيل إعادة الصيغة الإسلامية والمعايير الإسلامية لتحكم تصورات الفكر وحركة الواقع في حياة المسلمين. إذن فكل "إسلامي" هو مسلم، وليس العكس دائماً بصحيح!..).

انظر: محمد عمارة: **الحوار بين الإسلاميين والعلمانيين**. دار نهضة مصر، القاهرة، د.ط، يونيه ٢٠٠٠. ٧ وما بعدها.

(٣) محسن عبد الحميد: **المذهبيّة الإسلاميّة والتغيير الحضاري**. ٩٨.

٤- عدم الوعي بالصراع القائم بين الحضارة الإسلاميّة بكلّ ما تحملُه من قِيَم الشخصيّة الإسلامية، والحضارة الغربية التي لا تؤمن بالحدود الفاصلة بين الحضارات وتحاول صَهْر الحضارات الأخرى في بوتقة بحيث لا تستطيع الحضارة المنصهرة فيها أنْ تقومَ وتتحلّل من قيود الحضارة الغربية، فالغزوّ في الصميم، وهو يستهدف أهم شيءٍ في الحضارة الإسلاميّة وهو «الاحتفاظ بالشخصيّة الإسلاميّة ومركز هذه الأمّة في العالم، ومعرفة رسالتها والإيمان بقيمتها والتأكيد على قيمة الآخرة وما بعد هذه الحياة من سعادة وشقاءٍ وجنةٍ ونار، والتأكيد على الجانب الخلقيّ والروحيّ من الحياة» وكلّ هذا يمثّل الخط الفاصل الذي يشكلّ الحدّ الفاصل (الرسميّ) بين الحضارتين[1]. فالاعتراف بوجود الصراع، اعترافٌ بأدواته التي تمثّل فيها المصطلحات أهم محور وأظهرها، حتى نستطيع أنْ نسميَ هذا الصراع بـــ(صراع المصطلحات).

٥- فقدان قيمة الحوار المزعوم أو المراد بين الحضارات حين يريد (الآخر) فرض مصطلحاته ومفرداته، فنتج عنه قوالب لا تحمل مضامين أكيدة في تحديد ضوابط الحوار بين الحضارات، والهدف من الحوار.

إذنْ فالحضارة الغربية تعود مرةً أخرى إلى التلبيس على المسلمين عند ما ترفع شعار الحوار وهي لا تريده والأحداث والوقائع برهانٌ على قولنا وقبلها أفكارهم ومبادئهم أيضاً، فهم يستغلون أحداثاً لكي يحلّلوا الأمر حسب أهوائهم فيتسائلون لماذا يكرهوننا؟ تساؤلٌ لا تحمل البراءة التي يزعمونها، فكلٌّ منّا يعرف ما يحمل في جعبته، فبدل التحاكم إلى الأحداث والوقائع، لا بدّ للحوار أنْ يتحاكمَ للفكر والعقل، والحيثيّات العامّة التي يتفق عليها أبناء المعمورة[2].

٦- الضياع والتشرذم الحضاريّ نتيجة الانحسار والضمور الحضاريّ، فالحضارة التي تتوقّف

---

(١) أبو الحسن علي الحسيني الندوي: **الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية**. ٢٢٦.

(٢) عبيد حسنة: الخطاب الغائب. ٦٧. وانظر: موسى إبراهيم الإبراهيم: **حوار الحضارات وطبيعة الصراع بين الحقّ والباطل**. ٢٤١ و٢٨١.

عن العطاء الفكريّ والحضاريّ لا تستمر وتبدأ بالضمور، والأدهى أنْ لايعترف أصحابها بهذا الانحسار والذبول، فأُولى مراتب النهوض هو الاعتراف بالواقع المؤلم ثمّ التخطيط للنهوض والنموّ وهذا ما نفتقده؛ بسبب النخبة التي استعلَتْ على الناس والعامة مشيدين بمصطلحات الغرب، جاعلين منها المعبِّر عن الإسلام أيضاً رغم التضاد الموجود في بُنيتهما الفكرية والحضارية[1].

٧- تبلور حالة هجينة نتيجة عملية التغريب الحضاريّ، هذه الحالة الهجينة رأتْ في الغرب المَلْجَأ في أفكاره ومن ثمّ لاعتقاده، فنظر نظرةً تسبّح بحمد الغرب في حالة شعورية أو لا شعورية، فحمل نظرية الغرب في الحياة والسلوك والقانون، ولكنّه حين أراد التطبيق اضطرته طبيعة المجتمع المسلم إلى تعديل بعض الجوانب، أو حاول التصادُم مع الأنساق الفكريّة السائدة الأخرى، لكن لا هذا ولا ذاك أسعف هذه الحالة الهجينة في تبنّي خطٍّ عام يحُول دون رفضه، ولكنّه بقي على إصراره متخذاً من الإعلام والدعاية الوسيلة الأمثل في اشتداد عوده يوماً بعد يوم ولكنه بقي حالةً هجينةً لا ينتمي لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء مذبذبين بين ذلك[2].

٨ - الانقطاع التأصيليّ لمصطلحاتنا، وافتقارها إلى جِماع الروح والجسد، والعقل والقلب، فهي ميّالة دائماً نحو المادية؛ لأنها ترعرعتْ تحت إضاءات غربيّة، وارتوتْ بصفحات التلبيس والغموض، فصارتْ غير ثابتة، ولا تمتُّ إلى السماءً بصلة، فلا تهتم بخالقٍ يُعرَف، ولا بإلهٍ يُطاع، همُّها الأوّل والأخير تحقيق الكينونة الغربيّة على أرضٍ إسلاميّة، وغزو العقل المسلمً بمفاهيم الغرب ونظرته للحياة والناس وتوظيفها وقَوْلَبتها علىً شكل كبسولة تسمى (المصطلحات)، فهي ما إنْ تدخل الجسم الإسلامي تتفاعل فيه وتنهك قوامه وتصبيه بعضالٍ لا يرجى شفاؤه، فلا ثنائيّات في الفكر الغربيّ وبالتالي في مصطلحاته، بل بالعكسً فالانشطاريّة (الإنفصام) بين المادة والروح، والعقل والقلب، المعبود والعباد، وهكذا[3].

---

(١) عمر عبيد حسنة: **الخطاب الغائب**. ١٥٥.

(٢) أنور الجندي: **مَعْلَمَة الإسلام**. المجموعة الرابعة. ٢٩٩.

(٣) عبد الوهاب المسيري: **الفلسفة المادية وتفكيك الإنسان**. دار الفكر المعاصر ودار الفكر، دمشق- بيروت. الإعادة الثانية للطبعة الأولى، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م. ٦٣. وانظر كذلك: محمد قطب: **الإنسان بين المادية والإسلام**. دار الشروق. القاهرة، ط٦، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م. ٦٩ وما بعدها.

٩- عدم الوعي بالخصوصيّة الحضاريّة للمصطلحات، والإصابة بالغيبوبة الحضاريّة أو على الأقل بالنعاس واللامبالاة حضارية، والصحوة المتأخّرة من هذا اللاوعي سوف يدلّنا على المواطن والمواقف التي خسرناها في المنظومة الفكرية والحضارية، فغيرنا يعمل بجدٍ ووعي، ونحن نفتقر إلى معرفة الذات ثم معرفة الآخر، مما يفقدنا السيطرة على واقعنا، ويجعلنا أداةً ووسيلة في أيدٍ لا تبدو أمينة وهي تحاول إخراجنا من أصالتنا.

وقد كانت القاعدة القائلة أنّ (لا مشاحة في الاصطلاح) مَطيّتنا في منطق التبرير لتبعيّتنا، حتى كأنها أصبحت الترياق الشافي من حالة اللاوعي، ومن حيث ندري أو لا ندري تصبح هذه القاعدة أداة تزييفٍ للوعيّ بالمضامين التي يحمله كلّ مصطلحٍ وافد[1].

١٠ - الاستسلام للطبيعة العنفيّة التي تتسمّ بها الحضارة الغربيّة في تعاملها مع الآخرين، والنظرة الاستسلاميّة المنهزِمة تكاد تكون طابعاً ظاهراً في روح بعض أبناء الإسلام، نتيجة الاعتقاد بكمال الغالب والقوي بسبب قوّته وغلبته لا بسبب قوة فكره وحضارته، وقد صوّر النخبة التي تماليء الغرب هذه الطبيعة الاستسلاميّة السائدة فيها أنها إرادة حرّة في اتخاذ التطور الحضاري الغربي سبباً في ممالئة الغرب وحضارته، فترى في كلّ ما يصدر من الغرب من مواقف ورُؤى وبالتالي مصطلحات معبِّرة عنها هي سليمة وعلميّة وعمليّة، وكأنّ الكمال الإلهي قد تجسد في حضارة الغرب وسطوته[2]. فيستخدم العنف المصطلحيّ وسيلةً لفرض مفاهيم الغرب ورؤيته ضد المنظومة الاصطلاحيّة الإسلامية محاولةً استبدالها بمصطلحات غربية.

(١) محمد عمارة: **الخصوصيّة الحضاريّة للمصطلحات**/ ضمن ندوة (إشكاليّة التحيُّز/ رؤية معرفية ودعوة للاجتهاد). الجزء الأول. ١٢٧. وانظر: إدريس، محمد جلاء: **العلاقات الحضارية**. ١١. وانظر إنْ شئت تفصيل الحديث عن قاعدة (لامشاحة في الاصلاح) في المبحث الأول من الفصل الأول من هذا البحث، فقرة (اللفظ والمعنى من جهة إصطلاحية).

(٢) منير شفيق: **الإسلام في معركة الحضارة**. ٣٤. ومنير شفيق: **الإسلام وتحديّات الانحطاط المعاصر**. ١٦٣.